

مصير المرأة الاجتماعى

للدكتور عبد العزيز عزت

أساذعلم الاجتماع بكلية الآداب ومعهد الصحافة

إن مصير المرأة الاجتماعى — فى نظرى — هو الحياة العائلية ، لأن هذه الحياة هى الخلية الأولى للمجتمع ، وهى المهد الأول لبزوغ المشاعر الانسانية الراقية التى توحد بين الناس وتجعلهم إخوانا ، وهى المعقل الأول والأخير للمرأة إذا وفقت فى الحياة أو إذا ضاقت فيها كذلك .

فوظيفة المرأة الاجتماعية وظيفه عائلية تكون بها زوجة صالحة وأما ناهية ، وهذه وظيفة ليست أقل خطرا من الوظائف التى تشغلها خارج محيط الأسرة فى المجتمع ، فهذه الوظائف اقتصادية كانت أو قانونية أو طبية أو سياسية لم تخلق لها وإن احترفتها بعض النساء ونبغن فيها إلا أن نبوغهن ضرورة قاسية هى ارتزاقهن من طريق شريف أنقذهن من سلوك طريق آخر لا تمد عقباه بالنسبة لمن خاصة وللمجتمع عامة ، فاحترافهن احتراف وقائى يمنع تحقق الفساد بحديه ، نعم قد يحترفن فى الأبواب المتقدمة وغيرها غير المحتاجات من النساء ولكن هذا تطفل واضح لأنهن يقفلن أبوابا للرزق أمام المحتاجات من النساء والرجال على السواء وفى هذا جرم اجتماعى ، وتقول مدام دى سنايل فى هذا الصدد " يجب أن تربي البنت دائما كي تصبح يوما ما شريكة للرجل فى حياته " .

وعليه أعرف المرأة " السليمة " من الوجهة الاجتماعية بأنها المرأة المتزوجة الموقفة فى زواجها والتى تربي أولادها تربية حسنة ، وغير ذلك من النساء أسمين " شاذات " وأعتبرهن حلة على المجتمع ، وأقصد بذلك أنواعا ثلاثة منهن : أولا المرأة التى لا تتزوج إطلاقا ، ثانيا المرأة التى تتزوج ولا تنجب ، ثالثا الأرملة التى لم تنجب ولا تتزوج ثانية .

الأولى تشغل المجتمع ولا يعود عليه منها نفع يذكر ، والثانية لاتساهم فى تغذية " الكثافة المادية " للمجتمع — حسب تعبير دوركيم — أى لاتساهم فى ازدياد مكانته ، ولا تنقل أيضا " كثافته الأدبية " أى لا تلقن تراث الجمع ومظاهر حضارته للخلف ، والثالثة هى رمز التشاؤم منشتر اليأس من حولها وهى قابضة فى أزوائها الأليم — نعم ، أنا لا أنكر أن الزواج فيه شيء كبير من تقدير الحظ ، ويخرج أحيانا — لظروف خاصة — عن ارادة الفرد ، فنحن لا يمكن أن نرغم الرأى الأول على الزواج ولا الثانية أن تلد فربما عامة ذلك أسباب فسيولوجية

فتعاق بالحلقة والتكوين الحسى ، وقد تكون أسباب ورثة لاذنب لها فيها انتقلت اليهن من الآباء ، وقد تكون أسباب نفسية ، فالمرأة بطبعها حساسيتها مرهفة وشعورها قوي وقد تبقى أحيانا كثيرة على ذكرى من أحبت وأخلصت له ، كل هذه أسباب حقه ولكن مناحى من اثبات هذه الحالات الثلاث الشاذة لبعض النساء فهى حاصلة بالفعل .

واذا تحددت حالاتهن هذه وعرفنها وجب عليهن أن يقاومنها بمجهودين من شأنهما أن يخلقا ويفذيا حاستهن الاجتماعية هما أولا مساهمتهم في التراث العقلى للجمع باهتمامهن بالفنون والآداب ، والعلوم - وأتعهد هذا الترتيب - ثانيا بمشاركتهن في الخدمة الاجتماعية بكل ماهن من سبل ميسورة خاصة اهتمامهن بمسألة الطفولة البائسة ، فهى تقربهن الى ادراك معنى الأمومة والبنوة ، وبغزل هذين المجهودين تصل النساء الشاذات الى مستوى المرأة السليمة التى تؤدى الخدمة الاجتماعية فى منزلها بين أولادها ، والتى يفترض فيها أيضا أن تكون على شئ كثير من الثقافة الفنية والأدبية والعلمية .

وعلى المرأة بنوعها السليمة والشاذة أن تتبعد فى ثقافتها عن الأخذ بآراء كتاب الثورة الفرنسية والفلاسفة الاشتراكيين فى أمر الأسرة لأن مبادئهم هادمة لحياتها وتتنافى مع مصير المرأة الاجتماعى ، مثلا يكفى أقرارهم أن الزواج يبنى على عقد عرقى لا تدخل للدين فيه ، وأن الطلاق ممكن باتفاق الطرفين المتعاقدين ، وأن تربية الأبناء موكولة للدولة وللدولة فقط .

هذه مبادئ جامعة تقضى على هيبة الأسرة وما لها من قداسة فى نفوس أفرادها لأنها تصورها فى أذهانهم بأنها نظام تافه غير ثابت موكول لارادات الأفراد ، يعقدونه ، ويمجلونه بمشايئهم كأي عقد مدنى آخر ، وفى هذا امتحان لقدرة العائلة التى يجب أن يتدخل فى تكوينها عنصر اسمى ، وأرقى من الارادات الفردية هو عنصر الدين الذى يجعل أفرادها مسئولين أمام قدرة أعظم من قدرتهم وإرادة أعلى من إرادتهم هى قدرة الله وإرادته - فالزواج الذى لا يقوم على دعائم الدين فى أى مجتمع من المجتمعات لا تصبح المرأة فيه زوجة بالمعنى الصحيح وإنما تظل خلية وعشيقه وهذا وضع يقضى على كرامتها ومصيرها الاجتماعى ويحط من هيبة العائلة ويضئ قداستها .

ثم أن هذه المبادئ تؤدى الى مساواة المرأة بالرجل وهذا خطر ذريع ، ليس لأن المرأة أضعف من الرجل فى تركيبها الجسمى أو فى مقدرتها الفعلية ، وإنما لأن الحياة العائلية تقضى أن يكون من بين أعضائها " المتقدم " و " المتأخر " . المتقدم عادة فى الأمم إراقية هو الرجل والمتأخر هو المرأة ، وهذا التأخر لا يبنى على الأخذ من مقامها فهى " ربة العائلة

وسيدة الدار“ وانما أبنيه دلى حب المرأة للرجل وتضحيتها من أجله ،لأن المرأة السليمة ترى في هذا التآخر — اصطلاحا — نوما من الجمال تشعر به في داخليتها ويبلغ عندها حد الضرورة النفسية ، فكل امرأة ، أراها تشعر في قرارة نفسها بمحاجتها الى حامى يزود عنها ويبادلها الحب الصادق ، والنساء المحترفات لمختلف الصنائع طرقن هذه الأبواب ليتمكن فيهن نقصا وليحتلن عن هذا الطريق في جذب الرجال اليهن تارة بالمال وتارة بالوظيفة وتارة ثالثة بالشهرة عوضا من الطاعة والمحبة والتضحية. كلا المرأتين السليمة والمهانة تريدان أن تصلا الى نفس الغاية وهى إرضاء الرجل :الأولى عن الطريق الإنسانى وهو اتباع الفضائل الزوجية والثانية عن الطريق الصناعى وهو قدرتها الخارجية فى الحياة ، نعم أن الرجل يعجب حقا بقدرة المرأة المهانة فى الحياة العامة ولكنه اعجاب لا يبلغ حد حبه للزوجة الصالحة الفاضلة لأنه يعرف أن قدرة المرأة الخارجية وضعت بادئ ذى بدئ على أسس عدائية له كالحسد منه والتكبر عليه ، والانتقام منه وغير ذلك ، والمرأة المهانة تعرف فى نفس الوقت أن المال والوظيفة والشهرة ما هى إلا وسائل للحصول إلى غايتها الكبرى وهى حب الرجل لها ،ومن هنا شقاؤها الأكبر لأن الرجل يعرف مثلها أن كفايتها الخارجية وسيلة فقط وأن حبه هو الغاية ولهذا وإن نعمت المرأة المهانة بمالها ووظيفتها وشهرتها فهى لا تزال فى داخليتها تشعر بنقص يكدر صفاء نفسها وهو البحث عن الرجل الصادق فى حبه لها والذى يرضاها زوجة له وأما لأولاده ، ولهذا كانت المرأة الحديثة شقية . بسبب سبلها المتوية ، وقبلما يتحقق أيضا مصيرها الإجتماعى على الوضع الصحيح .

وأخيرا تؤدي مبادئ هؤلاء المفكرين الى القضاء على تهيئة النفس تهيئة اجتماعية صالحة ، فان وكل أمر التربية للدولة اطلاقا فيه اضعافا للروح الاجتماعية عند الشباب لأن الدولة وان أمكنها — أحيانا كثيرة — أن تقوم بالتربية الجسمية والعقلية خير قيام إلا أنها لم تفلح الى الآن فى شئون التربية الشعورية والارادية عند الأفراد لأن هذا النوع من التربية من اختصاص العائلة وحدها ، ولا فائدة من أجسام النفس وعقولهم إن لم تقرن فى نفس الوقت بالمشاعر الطيبة التى توجد بينهم وبين الناس فى المجتمع ، وبالارادة القوية التى تحصل من الشباب شخصيات فذة لها وجودها الفاعل فى الحياة الاجتماعية ، فالإنسان المتعلم يحقق هو الذى تنضج فيه عناصر النفس الأساسية كلها وهى العقل والشعور والارادة ، وهما عناصر متحدة

لا تنفصل عن بعضها لطبيعتها ، والتربية التي تنصب على تقوية عنصر واحد فقط منها دون الآخرين ، تربية غير كافية لخلق المواطن الصحيح السليم — رجلا كان ذلك أم امرأة —

ولهذا كان من مستلزمات التربية الاجتماعية قيام الأسرة بجانب المدرسة ومساهمة المرأة بنسب وافر فيها تهيئة للنشء تهيئة اجتماعية صالحة ولتحقيق مصيرها الاجتماعي على الوجه الأكمل .

إذا عرفت المرأة آراء هؤلاء المفكرين الجامحة ولم تأخذ بها ، احترمت نفسها ، وفهمت قدر العائلة ، وأدركت مصيرها الاجتماعي وكانت بذلك عضوا نافعا في الهيئة الاجتماعية التي لا تتخطو خطوة إلى الأمام إلا إذا ساهمت المرأة فيها عن طريق الوضع الطبيعي الذي خلقت له لتؤدي في المجتمع وهو أن تكون زوجة صالحة وأما ناهية ما

عبد العزيز عزت
